

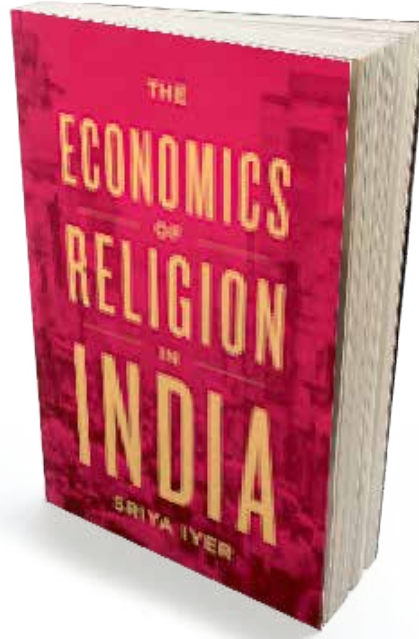


اليقين الديني لم يتم تحليله رسمياً. والفجوة الثالثة هي أن الاقتصاديين لم يقولوا الكثير عن تكوين العقيدة، رغم أن المعتقدات أساسية لجميع الأديان. ولا يزال الجدل أنه إذا كان التقدم المحرز على هذه الثغرات، فإن الاقتصاديين لا يحتاجون فقط إلى نماذج أفضل، بل يحتاجون إلى مزيد من التركيز على العمل التجريبي الذي بدأه علماء الاجتماع في الدين. تؤكد آير إلا أنه تم تحقيق تقدم في التوصل إلى نماذج أفضل واختبارها تجريبياً في الدين. ولكن لا يزال الطريق طويلاً لسد هذه الثغرات.

والأهم من ذلك، أن هناك المزيد من العمل الذي يجب القيام به، لأنه إذا درسنا تاريخ البشرية بأكملها، فقد مات أناس أكثر بسبب الدين منه على حساب سوق الأسهم. وهذه الحقيقة البسيطة وحدها يجب أن تبرر اهتمام الاقتصاديين المستمر في دراسة العواقب الاجتماعية والاقتصادية للدين. وسواء أحببنا ذلك أم لا، تبقى الحقيقة أن الدين كان قوة هائلة عبر التاريخ، في جميع أنحاء العالم، وما زال يمارس نفوذه. فعلى مر القرون، وبالنظر إلى الموارد التي تسيطر عليها الأديان وسلطتها على الأفراد وعقولهم، يجب أن نتوقع أن تكون هناك عواقب اقتصادية كبيرة. وبالطبع، فإن الأساليب التي تم استخدامها لدراسة الدين ستبقى عملية ودقيقة وذات صلة، كما أنه يجب علينا أن نفكر أيضاً في كيفية تحويل مثل هذه النتائج إلى حدس سليم، أو أفكار اقتصادية عملية، أو سياسة اجتماعية ذات صلة بالتيار الحالي، وتصور عام لحالة ديانات العالم. وللمضي قدماً، قد يحتاج الاقتصاد والدين أن يكونا أقرب بكثير مما قد يعتقد البعض. قدمت لنا سريا آير مناقشة إبداعية وغنية حول الثقافة الدينية في الهند وآثارها على توفير الخدمات الاجتماعية والتنمية الاقتصادية.

اسم الكتاب: **The Economics of Religion in India**
المؤلف: **Sriya Iyer**
الناشر: **Harvard University Press**
اللغة: **الإنجليزية**
عدد الصفحات: **305**

* كاتب عماني



المتعلقة بالإرهاب، والتجارة والسياسة والنزاع على الخدمات الاجتماعية المقدمة دينياً. ربطت بعض الأعمال النظرية الدين والسياسة على سبيل المثال، كيف كان لدى الساسة حافز لاتخاذ موقف متطرف بشأن قضايا قد تحظرها بعض الأديان مثل الإجهاض أو زواج المثليين، من أجل حث مؤيديهم الأساسيين على التصويت. تسلط الدراسات التجريبية الضوء على الأهمية السياسية للزعماء الدينيين. على سبيل المثال، يقدم التاريخ بأن القوة السياسية للزعماء الدينيين قد تكون مهمة عندما يكون هناك ركود اقتصادي. وتقول الكاتبة إنه خلال الفيضانات التي تميل إلى مستويات الفيضان الطبيعية لنهر النيل، ازدادت مخصصات الهياكل الدينية، مقارنة بالهياكل العلمانية. كما كانت السلطات الدينية أقل عرضة للاستبدال. كما كان القضاة أقل عرضة للإقالة من قبل الملك أو الاستقالة عندما كان فيضان النيل مرتفعاً أو منخفضاً بشكل غير طبيعي. ويرجع ذلك إلى أن فيضانات النيل زادت من الميل إلى الاضطرابات الاجتماعية وإمكانية أن ينسق الزعيم الديني ثورة. تذهب النتائج إلى أن الأزمات الاقتصادية تعجل بانهيار الأنظمة الأوتوقراطية لأنها تعطل ميزان القوة السياسية.

كما تشير الكاتبة إلى وجود عدة ثغرات في جدول أعمال أبحاث علم الاقتصاد الديني، كانت الفجوة الأولى هي أن أبحاث الاقتصاد قد «استبعدت» جوهر الدين ولم تعط فكرة كافية لاستخدام مفاهيم دين أوسع في نماذج رسمية. والفجوة الثانية هي أن عدم

والمعسكرات الصحية، ودروس الخياطة، ودروس التمارين الرياضية، وتقديم المساعدات للفقراء وإقراض المشروعات الصغيرة جنباً إلى جنب مع الخدمات الدينية. يبدو أن العديد من الأنشطة قد نشأت استجابة لسد الفجوة في الرعاية الاجتماعية. ونتيجة لذلك، ظهرت برامج الرعاية الصحية مثل التبوع بالدم، وبرامج إعادة التأهيل من المخدرات، ومخيمات التطعيم، والاستجابة للاحتياجات المجتمعية مثل دور المسنين، وشبكات العمل غير الرسمية، وبرامج رعاية الأرملة. يُنظر إلى التعليم أيضاً على أنه مجال يمكن تقديم الخدمات فيه، بالإضافة إلى التعليم الحكومي أو بدلاً منه.

وتشير آير إلى أنه على الرغم من ملاحظة الاختلافات بين الأديان في أنواع الخدمات المقدمة، نجد أن المجموعات تعمل انطلاقاً من الرغبة في عمل الخير والمساعدة في الأماكن التي تتوفر فيها المؤسسات الحكومية بشكل أقل، وأيضاً استجابة لمنافسيها. هذه الميزة الإيجابية التي تؤكد آير لا يُعترف بها غالباً، حيث أنه في كثير من الأحيان في المناقشات حول الدين والتنمية في البلدان الفقيرة، ومن الشائع تسليط الضوء على العديد من النتائج السلبية التي قد يولدها الدين. في المقابل، تؤكد الدراسة على الدور الإيجابي الذي يلعبه العديد من المنظمات الدينية في مجتمعاتها المحلية من خلال بناء رأس المال الاجتماعي ومعالجة الضرورة الاقتصادية في الهند.

الهند في خضم نمو اقتصادي واضح ومن المتوقع أن تكون واحدة من الاقتصادات الرائدة في العالم في غضون عشر سنوات، ولكن البلاد تتميز أيضاً بزيادة عدم المساواة في الدخل. وتعتقد الدكتور آير أن هذا هو أحد التفسيرات للسلوك المبتكر ومرونة الدين في جميع أنحاء البلاد. إن وجود عدم المساواة يجعل توفير الخدمات الدينية وغير الدينية أكثر من قبل المنظمات الدينية عن غيرها من المؤسسات التطوعية. ركزت معظم البحوث في الاقتصاد الديني على الدول المتقدمة. ومع توافر بيانات جديدة، يدرس الاقتصاديون الآن ديانات معينة في فترات زمنية تاريخية مختلفة، كما يستفيدون من هذه التجربة في الشبكات الدينية في المجتمعات النامية المعاصرة. ركزت هذه الأدبيات على الصراع وعلى التعاون الذي أوجده الدين، حيث تم مناقشة بعض المواضيع



الاقتصاد الديني في الهند سدريا آير

محمد السالمي *

لم يكن الدين هدفاً شائعاً للتحليل الاقتصادي لذلك يعد مجالاً جديداً نسبياً. ومع ذلك، يمكن لأدوات الاقتصاد أن تقدم رؤى عميقة حول كيفية تنافس المجموعات الدينية، ومن حيث تقديم الخدمات الاجتماعية، والتواصل مع فئات المجتمع، وطبيعة الأديان ومدى انتشارها. تضع سدريا آير هذه الأدوات لاستخدامها في دراسة مبتكرة ومنهجية للهند، واحدة من أكثر الدول تنوعاً دينياً في العالم. في كتاب «الاقتصاد الديني في الهند» تستكشف آير كيف يؤثر النمو وعدم المساواة والتعليم والتكنولوجيا والاتجاهات الاجتماعية على الجماعات الدينية.

الدينية قد لا تكون مختلفة جداً. في الواقع، كان العلماء مهتمين منذ زمن بعيد بكيفية تغير الأديان بمرور الوقت مع تغير المجتمع. من الملاحظات الشائعة أن الأديان تثبت المرونة والقدرة على التطور. ولكن ما الذي يحدد هذه القدرة على التكيف وكيف تتنافس المؤسسات لجذب «عملاء» جدد؟ باستخدام هذه النظريات الاقتصادية، أظهر البحث أنه مع زيادة عدم المساواة في الدخل، يطلب الفقراء المزيد من الخدمات غير الدينية، وأن المنظمات الدينية توفر هذه الخدمات من خلال الاستجابة لهذا الطلب في سوق ديني تنافسي.

ليست الهند فقط دولة تتميز بتعدد الأديان، ولكن بالنسبة لأي دين معين، لا يعتمد فقط على أيديولوجية المجموعة ولكن أيضاً على فوائد مثل التعليم والصحة، وتوزيع الغذاء وخدمات الرعاية الأخرى.

في هذه البيئة التنافسية، كما تقول الكاتبة، تظهر الجماعات الدينية نفس الاستجابات الاقتصادية العقلانية مثل الأعمال التجارية للتغيرات في البيئات السياسية والإيكولوجية والاقتصادية التي تعمل فيها. وتشير نتائج المسح أن الأديان تزيد بشكل كبير من توفيرها للخدمات الدينية وغير الدينية. فمن ناحية، قد تقدم المنظمات تفسيرات للعقيدة أو ممارسات جديدة تميزها عن المنظمات الأخرى. ومن منظور العملي، غالباً ما يصعب تحقيق مثل هذه التغيرات. ومن ناحية أخرى، كانت إحدى النتائج الرئيسية للمشروع هي التنوع الملحوظ في الخدمات غير الدينية: التعليم القائم على الكمبيوتر،

أساسية لعملية النمذجة الرياضية. هناك العديد من التعريفات المختلفة للدين. بعضها موضوعي والبعض الآخر وظيفي، لذلك لا يوجد بين العلماء تعريف مقبول للدين. التعاريف الجوهرية للدين تعني التحقيق في الدين كفلسفة أو كنظام للمعتقدات، واستخدام هذا في محاولة لفهم العالم. على سبيل المثال، يرى الفيلسوف الهندي، سرفيبالي راداكريشنان، أن الدين «هو تعبير عن التجربة الروحية لجنس ما، وهو سجل لتطوره الاجتماعي، وهو عنصر أساسي في المجتمع الذي وجد فيه». تركز التعريفات الوظيفية على ما يفعله الدين للأشخاص من حيث دوره في حياتهم أو دعمهم اجتماعياً أو نفسياً. و بالطبع هناك تعريفات مشهورة للدين. منذ القرن الثامن عشر، توقع الباحثون والكتاب من غاليليو وفولتير إلى مارك توين انقراض الدين بشكل عام أو بعض الأديان بشكل خاص. مع كل عواقبه، الإيجابية والسلبية، ينمو الدين باستمرار على الدوام. وعلاوة على ذلك، نمت الديانات التي كانت تعتبر في يوم من الأيام منقرضة في أعداد من أتباعها وأهميتها العالمية.

تعمل المنظمات الدينية في الهند على تنوع «نموذج عملها» للحفاظ على ولاء أتباعها واجتذاب المتعبدين الجدد. للنظرية الاقتصادية الكثير لتقدمه في دراسة الدين المعاصر والأسواق الدينية في البلدان النامية. غالباً ما تحلم الشركات بالأفكار المبتكرة للحفاظ على العملاء وجذب عملاء جدد. بعد كل شيء، في بيئة تنافسية، من المهم أن تبرز من الحشد للمضي قدماً في السوق. الآن، أظهر بحث جديد أن المنظمات

حيث أجرت آير مسحاً لحوالي 600 منظمة دينية في سبع ولايات لتكشف عن الطرق العديدة التي تتفاعل بها الأديان مع الرفاهية الاجتماعية والصراع السياسي. وأوضحت أنه بعد تحرير اقتصاد الهند في عام 1991، زادت المنظمات الدينية بشكل كبير من تقديمها للخدمات، مما عوض عن تراجع الدولة. تشير بيانات آير أيضاً إلى أن العنف الديني أكثر شيوعاً عندما يكون النمو الاقتصادي أعلى، وذلك على ما يبدو لأن النمو يزيد من عدم المساواة، والذي قد يستغله السياسيون الطائفيون لتشجيع العداء تجاه الأديان الأخرى. وبما أن عدم المساواة يؤدي إلى الاستقطاب الاجتماعي، تصبح العقائد الدينية أكثر تطرفاً. لكن هناك أنماطاً مفعمة بالأمل في بيانات آير أيضاً حيث تلعب المنظمات الدينية، بشكل عام، دوراً إيجابياً في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الهند، ومشاركة المرأة في الحياة الدينية في ازدياد.

هذا الكتاب لديه الكثير ليعلمنا عن الهند وغيرها من المجتمعات التعددية في العالم، وعن دور الاقتصاد في الاعتقاد وبناء ديناميكيات المجتمعات. فسريا آير هي محاضرة في كلية سانت كاثارين في جامعة كامبردج، وتتمحور أعمالها حول الاقتصاد الديني والديموغرافيا الدينية في الهند.

الاقتصاد الديني كحقل فرعي جديد نسبياً، لكن دراسة الدين بحد ذاتها قديمة، فقد تم مناقشتها في العديد من التخصصات الأخرى، لا سيما الفلسفة واللاهوت والتاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، حيث إن لديها الكثير لتقوله عن الدين والمعتقدات الدينية. بالنسبة للاقتصاديين، تعتبر التعاريف